الطرائف فى المتاحف

— ٢ —

المتحف القبطى (١)

للاستاذ صبرى فريد

المعادن :

إذا انتقلنا إلى بحث المعادن وجب علينا أن نلاحظ ملاحظة فنية ما نراه من قلة الأوانى والأدوات المعدنية ، التى تنشأ من صعوبة الحصول على المواد الخام المعدنية للادبرة البعيدة عن شواطىء النيل ، والمتغلغلة فى قلب الصحراء ، ففى قلب الصحارى والوديان كان الرهبان يحترفون مختلف الحرف التى تنطوى على الزخرفة وغيرها من نسج الأقمشة وصناعة التعدين والتكفيت ، وإنا لنأسف لقلة المواد التاريخية التى تخبرنا عن كيفية احتراف الرهبان بصناعة التعدين. إلا أن هناك بعض قطع فخار ذات نصوص قبطية تنبىء عن معيشة الرهبان فى الأديرة وعن بعض الصناعات التى كانوا يقومون بها فيها .

وكان استعمال المعادن فى العصر القبطى قاصراً على الأدوات الكنسية الصغيرة ، مثل صناديق الأناجيل والمباخر والصلبان والشمعدانات والمسارج الصغيرة التي يستعملونها فى المنازل ، إلا أن هذا لا يؤخذ به كدليل قاطع على عدم احتراف الاقباط صناعة التعدين

على أن الأقباط اشتهروا من قديم الزمان بصياغة الحلى الدقيقة التى مازال أثرها حتى اليوم.

وأهم محتويات المتحف القبطى من الادوات المعدنية هى :—

١ — مجموعة من الاطباق النحاسية والفضية عثر عليها فى كنائس مصر القديمة وأهمها:

صينية من النحاس جيء بها من كنيسة أبى سيفين وعليها نصوص عربية هى . « الملك الأكرم ، صاحب السيف والقلم نصر لمولانا .. الملك المالك الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين » ومما يسترعى النظر أن الكتابة يتخللها جامات داخلها أربعة (رنوك) إشارات (٢) متداخلة ببعضها ، وهي (الدواة والسيف والبقجة والكأس)

(١) راجع مجلة المعرفة ج ٤ (٢) انظر مقالى فى مصر الحديثة تحت عنوان الرنوك والشارات ومدلولات الالوان.

إشارة لسعة قدر صاحبها وكثرة وظائفه ، وهنالك كتابة أخرى نصها : « فاطمة بنت صاحب عبد الرحمن سنة ١١٣٣هـ » ويظن أنها السيدة التي آلت اليها .

٢ — مجموعة من الصواني المستعملة في الخدمات الدينية يرى على معظمها نصوص بالقلم القبطي تتضمن طلب الرحمة لأنفس قديسين توفاهم الله ، وبينها صينية عليها أربع أسماك بشغل الحفر.

ويدخل ضمن هذه المجموعة أيضاً عدة أباريق وطسوت تستعمل لغسل أيدي الكاهن قبل تقديمه القربان وبينها طست على حافته العليا ١٢ دائرة بارزة بها آثار تنزيل بالمينا الزرقاء وهذا هو المثل الوحيد الموجود بالمتحف الذي يدل على تنزيل المينا على المعادن .

٣ — مجموعة من المباخر الحبشية — أو المصنوعة على الخط الحبشي — وتمتاز عن باقي المباخر القبطية بضخامة حجمها وبالأجراس الكثيرة المتدلية من سلاسلها .

(لوحة من خشب الجميز)

٤ — مجموعة من الشمعدانات المصنوعة من البرونز (الشبهان) والنحاس وعلى بعضها آثار تكفيت بالفضة بزخارف نباتية ونصوص عربية فيرى على إحداها النص الآتي : « لصاحبة السعادة والسلامة وطول العمر مفاتح حمامة ... » وعلى آخر : « المعز العالي المولوى الامير المالكي العالمي المجاهدي المرابطي المؤيدي الظلي ... » ثم على آخر « المعز لدين الله العالي المولوى » مكررة أربع مرات متواليات . وقد جيء بمعظم هذه الشمعدانات من كنيسة الملاك القبلي بمصر القديمة . وهنالك أيضاً بابان من الخشب المصفح بشرائط ودوائر من البرونز المسبوك على أحدها نص جنائزي بالقلم اليوناني معناه « يا الله الواحد ! ... ! أعن المتوفاة الراقدة في هذا المكان بسلام » مما يدل على استعماله لمقبرة .

٥ مجموعة من صناديق الفضة المعدة لحفظ الأناجيل وعلى سطوحها الخارجية آيات من الاناجيل باللغة العربية والقبطية بحروف بارزة يتخللها زخارف هندسية ونباتية يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر ، وعلى أغلبها وقفيات الكنائس التي كانت مستعملة بها .

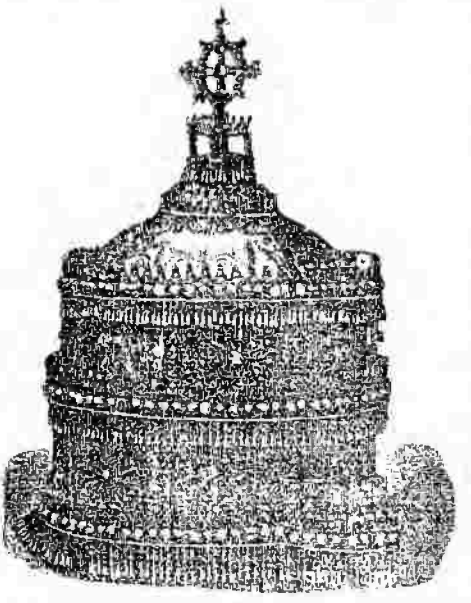

٦ — التيجان : ويوجد تاجان من النوع الحبشى أحدهما للمتنيح الأنبا كيرلص الخامس البطريرك السالف . أهدى له من قبل أحد أمبراطرة الحبشة وقد أهداه إلى المتحف نيافة الأنبا يوآنس — البطريرك الحالى — مع مجاميع نفيسة أخرى. وهذا التاج اسطوانى الشكل عليه تقاسيم بداخلها رسوم العذراء ومارى جرجس والملائكة بالحفر ويزين هذا التاج أحجار متلألئة تأخذ بالابصار ، أما التاج الثانى فكروى الشكل تقريباً .

٧ — مجمرة من الصلبان بعضها من الفضة والآخر من البرونز والنحاس وكان يستعمل الكبير الحجم منها فى الاحتفالات الدينية ، (تاج حقى من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة) والصغير منها للتعليق بين الصدور والنحور ، بين ربات الخدور ، وعليها أشكال المسيح والعذراء ومناظر دينية أخرى .

الأقمشة :

وهنا تعالوا بنا نستمع ما يقوله الأستاذ وديع افندى حنا المتخصص فى الآثار من الجامعة المصرية ، « كانت نعمة بنت مالك ووالدتها صلت ، أول من اخترعا غزل الصوف ونسج الأقمشة والنقش عليها ، ومنهما ورث مصرايم — الذى تنسب اليه مصر — مهنة عمل الصوف ونسج الاقمشة فعممها بين أبناء جلدته ، حتى برع فيها أكثر من كل أخوته الذين عمروا البلاد الاخرى ، فأنشأ لها المعامل الكبيرة فى مصر وقد شهد بذلك حزقيال النبى فى الاصحاح ٢٧ العدد ٧ إذ يقول : « كتان مطرز من مصر هو شراعك ليكون لك راية .. الخ »

ولما كانت مصر غنية جدا بكتانها نجد أن جثة المتوفى فى عهد الفراعنة تلف بلفائف من الكتان يتراوح طولها بين (٤٠٠) الى (٧٠٠) متر . واستعمل أيضاً فى ملابس الكهنوت (الفرعونية والمسيحية واليهودية) وكان عند ما يصبغ بألوان مختلفة يرمز إلى معان متنوعة فالابيض مثلا هو رمز الطهارة والصلاح .

وقد برع الاقباط خاصة فى صناعة النسيج حتى كادوا يتفوقون على معاصريهم من الأمم

الاخرى ، فهاهى أمثلة من بقايا ملابسهم القديمة التى عثر عليها فى الجبانات والمقابر القبطية معروضة فى معظم متاحف ومكتبات العالم .

واشتغل الرهبان أيضا فى صناعة النسيج بالأديرة إذ عثر على جدران هذه الأديرة على بعض نصوص قبطية لارشادهم عن هذه الصناعة .

واشتهرت بعض المدن المصرية بمصانعها الكبيرة فهنالك (دمياط وتينس وأخميم) التى مازالت ذات شهرة فى البلدان بصناعاتها ومنسوجاتها . وقد وصلت الينا نماذج عن طريق المقابر لأن القبط كانوا يختارون لجباناتهم المحلات الجافة فى الصحراء فيدفنون موتاهم بافخر ملابسهم وحليهم .

وتتكون القطع المعروضة الآن من أجزاء مستديرة أو مستطيلة وأحيانا شرائط كانت تنسج على انفراد بواسطة الانوال من خيوط ملونة من الصوف فتخاط بعد ذلك بالثياب ، ومما يستلفت النظر فى هذه القطع هو ثبات ألوانها ودقة رسومها رغم مرور العصور المتعاقبة .

وأهم الثياب التى اشتهر الاقباط بصناعتها هى القباطى (جلاليب) كانت تنسج بأكمامها ورقبتها قطعة واحدة . وكذلك كان لهم نوع آخر من النسيج يسمونه المقصب لانهم يستعملون فيه خيوطاً من الفضة وخلافها .

وتنقسم معروضات المتحف الاقمشية الى نوعين رئيسين : الاول يرجع تاريخه الى ما بين القرنين الثالث والثامن والآخر الى ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر الميلادى .

فأهم طرف القسم الاول هى : قطع نسيج مستطيلة من الكتان والصوف عليها رسم مدخل معبد قديم تعلوه كتابة قبطية ورسوم طواويس بألوان مختلفة — والطاووس رمز الابدية فى العصر المسيحى — وبوسط القطعة رسم العنخ (رمز الحياة) عند قدماء المصريين ، ومما يسترعى النظر بنوع خاص أن بهذه القطعة يرى حرفان قبطيان هما من كلمة المسيح (ك . ر أى كريستوس) وفى هذه القطعة دلالة على ربط الطقوس المسيحية بمسحة فرعونية كما ذكرنا فى مقالنا السابق ، ويغلب على الظن أن هذه القطعة كانت تعلق على الجدران . كما تعلق السجاجيد وغيرها اليوم . لغرض الزينة .

وهذه القطعة ترجع الى القرن الرابع الميلادى (أى الى ما قبل ١٥٠٠ سنة) وقد عثر عليها بجهة أسيوط .

وتليها فى الأهمية قطعة عليها رسم أربعة أوجه رسمت بغاية الدقة والاتقان لأنها ترمز

الى أربعة فضائل مسيحية : المحبة ، الرأفة ، السهولة ، التواضع . بحيث إن الناظر اليها يتبين من الملامح ما يرتسم على صاحبها من الفضائل المذكورة .

ويدخل ضمن مجموعات الاقمشة عدد من الصنادل (الحزم) القديمة المصنوعة من الجلد الموشى بالذهب ، وكذلك مجموعة من قطع العاج التى كانت مستعملة كعرائس ولعب للاطفال وقد عثر على معظمها بجهات أخميم .

بدلة كهنوتية للبطريك (البطرشيل)

أما القسم الثانى من الاقمشة فيشمل جملة ملابس كهنوتية تستعمل فى الاحتفالات ويرتديها الكهنة والبطارقة أثناء الصلاة . وهى على سبعة أنواع أهمها صنف يسمى (بالبطرشيل) وهى خاصة بالبطارقة عليها رسم الاثنى عشر رسولا مطرزة بخيوط من الفضة تعلوها كتابات ونصوص قبطية وعربية تتضمن أسماء البطاركة الذين كانوا يرتدونها .

ويشمل هذا القسم أيضا مجموعة من الستائر التى توضع على أبواب الهياكل يرجع تاريخ أقدمها الى القرن السادس عشر ، جيء بها من كنائس القاهرة .

الفخار والزجاج

تعد صناعة الفخار من أقدم الصناعات المصرية التى يرجع تاريخ منشأها الى ماقبل الاسرة الاولى بدليل ما اكتشف من هذا النوع من الاوانى المطلية بألوان زاهية . وكذلك التماثيل الصغيرة التى بينت أن هذه الصناعة وصلت منذ ذلك العهد الى أرقى مراتب الكمال . وبديهى أن صناعة الخزف والفخار تحتاج الى مهارة بممارسة وطول زمان . وقد اقتصر الاقباط من صناعة الفخار على ثلاثة أنواع :

الأولى الأزيار المعدة لحفظ الخمور وتبريد الماء ، والثانية الاطباق المزينة باشكال مختلفة من صور الحيوانات والانسان بالمغرة الحمراء . وأخص الرسوم التى كانت عليها هى سنابل القمح . والثالثة المصارح ، وكانت تزين برسوم الضفادع .

والفخار المعروض بالمتحف على نوعين الاول يشمل بقايا الاطباق والسلاطين التى صار اهداؤها من دار الآثار العربية ، وأصلها من مخلفات مدينة الفسطاط العربية فى العصر الاسلامى

وهي على أنواع ، منها قطع عليها رسوم هندسية ونباتية وصور حيوانات بارزة ، ومنها قطع كسابقتها مطلية بالمينا ذات البريق الذهبي وعلى كثير منها أسماء أعلام أو المصانع التي عملتها أو الاشخاص الذين صنعوها .

ويدخل ضمن هذه القطعة مجموعة من شبابيك القلل المفرغة بأشكال نباتية وهندسية وحيوانية بل نصوص وحكم مثل (طف من خف) و (خف تعاف) .

أما الزجاج فالمجموعة بالمتحف محدودة صغيرة أهمها صينية من كنيسة المعلقة عليها ثلاث دوائر بالمينا الحمراء على أرضية زرقاء وبيضاء وكذلك بيضة تستعمل فوق المشكاوات عليها بالمينا الزرقاء ما يأتي :

« المقر الاكرم العالى المولوى الملكى الصالحى المالكى المخدومى السيفى برغتمش »

الصور

إن أهم الاشياء التي صنعها الاقباط في كنائسهم هي : صور القديسين ومازال عدد كبير منها باقياً حتى الآن بالأديرة والكنائس والناظر الى هذه الصور وهي تعلو أحجبة الهياكل بأرضياتها المذهبة يتمثل فيها روعة الفن الذي يظهر دقة الوجوه .

القديس مرقوريوس (أبوسيفين)

وأقدم هذه الصور هي التي عثر عليها بجهة بابليط وسقارة ويرجع تاريخها للقرن الخامس الميلادي . وتمتاز الصور القبطية بأنها مرسومة على الجص الملصوق على الخشب . وكان الاقباط يستعملون في تصويرهم زلال البيض عوضاً عن الزيت .

ومن أجمل الصور المحفوظة بالمتحف صورة العذراء حاملة المسيح . وكذلك جملة صور تمثل الشهداء كمارى جرجس وأبى سيفين وغيره .

صبرى فريد